مكانة الإفتاء في الدعوة إلى الله

أ.د. خالد بن عبد الرحمن القريشي

أستاذ الدراسات العليا بالمعهد العالي
للدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ح خالد عبدالرحمن القريشي، ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القريشي، خالد عبدالرحمن
مكانة الافتاء في الدعوة إلى الله./ خالد عبدالرحمن القريشي-ط١ -
الرياض ١٤٣٧هـ
ص ؛ ٠٠×٠٠ سم
ردمك: ٠ -١٨٨٢ -٠٢ -٦٠٣ -٩٧٨
١ -الدعوة الإسلامية ٢ -الفتاوى الشرعية أ -العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٣٧/٨٨٢٥

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٨٨٢٥
ردمك: ٠ -١٨٨٢ -٠٢ -٦٠٣ -٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

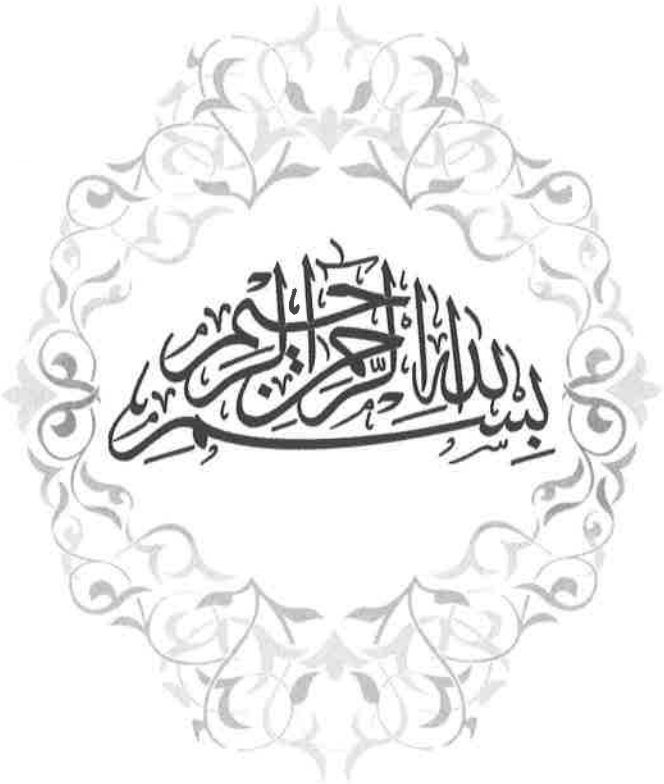
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].[4]

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠، ٧١.

(٤) تسمى هذه الخطبة عند العلماء بـ(خطبة الحاجة)، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ١/ ٣. الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ. طبع المكتب الإسلامي، بيروت.

أما بعد:

فقد حرص سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، ومن يقتفي أثرهم بإحسان إلى يوم الدين على الدعوة إلى الله بكل أسلوب ووسيلة مشروعة لنشر الإسلام بين الناس، وتبليغ دين الله وإقامة الحجة على الناس، فمثلًا: من الصحابة -رضي الله عنه- من كان يدعو إلى الله بالإنفاق من ماله: كتجهيز الجيوش، وتأليف القلوب، وإطعام الفقراء.

ومنهم من كان يدعو إلى الله ببدنه: كالجهاد في سبيل الله، ومساعدة الآخرين.. ومنهم من كان يشارك بعلمه وفكره وجهده العقلي: كالمشاركة بإقامة الدروس، والخطابة، والإفتاء.

وكان رسول الله ﷺ في كل مجال من مجالات العمل الدعوي السابقة القدوة والمثل الأعلى للصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان.

ومما ذكر من المجالات السابقة كانت الفتوى أساسًا لرسول الله ﷺ في نشاطه الدعوي العلمي، وكان عليه الصلاة والسلام لا يكتفي بالإجابة على السؤال فقط، بل يحرص من خلال الإجابة على التوجيه والتأثير في المستفتي والسامع، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، منها: عندما جاء بلال بن رباح -رضي الله عنه- يستفتي رسول الله ﷺ في شراء صاع من التمر الجيد بصاعين من الرديء نهاه عن ذلك ثم دله على الطريق الصحيح فقال: «بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم

جنيبًا» [1]، [2]، فأفتاه رسول الله ﷺ في مسألته وحذَّره ونهاه، ولو اكتفى رسول الله ﷺ بذلك فقط لكانت الإجابة كاملة وكافية في بيان الحكم الشرعي، ولكن لأن رسول الله ﷺ، المفتي الداعية، بعد أن بيَّن له الحكم، دله على الطريق الصحيح، وفتح له بابًا من الحلال، مع إغلاق باب الحرام؛ ليكون ذلك أدعى للاستجابة والتأثير.

ومثال هذا: الطبيب الناصح يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما ينفعه، وهذا هو شأن أطباء الأديان والأبدان [3].

هذا وقد كثُر في هذا الزمان الذين يفتون الناس، فمنهم من يفتي بعلم، وهو أهل لذلك، فيكون داعية هدى وخير، ومنهم الجاهل المتطفل الجريء، فيكون داعية ضلالة وشر، وهذا يستدعي منّا البحث والدراسة لهذا الأسلوب الدعوي المهم، والخطير أيضًا، الذي تتسابق على تقديمه للجمهور كثير من وسائل الإعلام، كالصحف والمجلات، والإذاعات، والقنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت...؛ وذلك لما يرون من إقبال الناس عليه، واهتمامهم بمتابعته، والاطلاع على ما يقدم فيه.

---

(١) الجنيب: نوع من التمر، جيد معروف. (النهاية في غريب الحديث والأثر، مجدالدين بن الأثير، ١/ ٣٠٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، ٣/ ١٦٠، برقم ١٤٥.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ١٥٩.

هذا ومما يستدعي الكتابة عن هذا الموضوع: ظن كثير من الناس أن الحديث عن الفتوى والإفتاء، خاصة بالفقهاء والحديث عنه لا يكون إلا في جانب الأحكام والأصول والقواعد الفقهية.

وهذا بلا شك خطأ في التصور، وتقصير من الدعاة في بيان هذا الأسلوب، وكيفية الاستفادة منه في الدعوة إلى الله تعالى، وتوظيفه في خدمة الإصلاح والتصحيح، والتوجيه والإرشاد.

وأول خطوات هذا المشروع الدعوي الذي أنا بصدد الكتابة فيه تجاه أسلوب الإفتاء هو بيان مكانته في الدعوة إلى الله تعالى كأسلوب من أساليبها، وسيتلوه – بإذن الله تعالى – مجموعة من المشاريع البحثية كالحديث عن ضوابط الإفتاء الدعوي، وآداب وأساليب الإفتاء الدعوي، ووسائله القديمة والحديثة، ومزالق الفتوى والاحتساب عليها.

فلذا أقول: بعون الله وتوفيقه سيكون هذا المشروع الأول، يتحدث عن الآتي:

بيان مفهوم الإفتاء، وعلاقته بالدعوة إلى الله تعالى ومن ثم ذكر أهميته في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النصوص الشرعية، والواقع المعاصر؛ وذلك كله ليهتم العلماء والمصلحون بهذا الأسلوب؛ لكي يؤثر في المدعوين الذين يستفتونه ويتحقق الإقناع بما يقول، ويحدث

التغيُّر في سلوكهم وأخلاقهم إلى ما يراه موافقًا لشرع الله -عز وجل-، وهدي رسوله ﷺ.

وقد اعتمدت في ذلك على ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، خير البيان، والحجة والبرهان، ثم على سنة رسول الله ﷺ؛ وذلك لأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعا إلى الله سبحانه وتعالى، خير دعوة، فلم يسمع الناس بعد القرآن الكريم كلامًا قط، أعم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أكثر تأثيرًا، من أحاديثه وفتاويه ﷺ التي قلت حروفها، وكثرت معانيها، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى.

واعتمدت كذلك على ما جاء عن سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان، والعلماء الكبار ذوي الأفهام.

إذًا فمن أساليب الدعوة إلى الله تعالى المهمة والمؤثرة التي سلكها الأنبياء والمرسلون والدعاة المخلصون: أسلوب الإفتاء، وهذه الأهمية والمكانة أبينها من خلال تقسيم هذا البحث وفق الفقرات الآتية:

المبحث الأول: تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما.

المبحث الثاني: المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم.

المبحث الثالث: المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في

نصوص السنة النبوية.

المبحث الرابع: المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في أقوال العلماء.

المبحث الخامس: المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة.

ثم الخاتمة، وقائمة بالمراجع، والفهارس.

وبعد: لا أزعم الكمال في هذا البحث؛ إذ لا طاقة لي به، ولكن حسبي أن أحاول، وأن أبدأ السير متوكلًا على الله -عز وجل-، مستعينًا بحوله وقوته، متبرئًا من حولي وقوتي، راجيًا منه القبول، سائلًا إياه التوفيق والسداد.

المبحث الأول

تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما

١ - تعريف الإفتاء:

إن تعريف الإفتاء وما يتعلق به من مصطلحات، ثم تعريف كلمة الدعوة وبيان المقصود بها، يكشف لنا مدى العلاقة بينهما، والنقاط التي يتفق فيها الإفتاء مع الدعوة، ومن هنا نبدأ:

بتعريف الإفتاء لغة: فأفتاه في الأمر: أبانه له. وأفتى الرجل في المسألة، واستفتيته فيها فأفتاني إفتاءً، واستفتاه: سأله رأيه في المسألة. والفتوى: بالواو وبفتح الفاء، وبالياء فتضم (الفتيا)، هي: اسم من (أفتى) العالم، إذا بيَّن الحكم. و(استفيته) سألته يفتي. والفتيا والفتوى والفتوى: ما أفتى به الفقيه. يقال: أفتاه في المسألة، يفتيه، إذا أجابه [١].

وأما الإفتاء اصطلاحًا هو: (إخبار عن حكم الله) [٢]. وقيل:

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، طاهر الزاوي، ٣/ ٤١١، طبعة ١٣٩٩ هـ، طبع المكتبة العلمية، بيروت، ولسان العرب، لابن منظور، مادة (فتا)، ٦/ ٣٣٤٨، ط. دار المعارف. والمعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مادة (فتاه)، ٢/ ٦٧٣، ط. دار الدعوة، تركيا. والمصباح المنير، للفيومي، مادة (الفتي)، ٢/ ٤٦٢، ط. المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص١٥١، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(بيان الحكم) [١].

والمفتي: هو (المُخبِر بحكم الله تعالى لمعرفته بدليله) [٢]. وقيل: المفتي هو: من يقوم بالإفتاء ويتصدى لها بين الناس [٣].

والفتوى والفتيا: ذكر الحكم المسؤول عنه للسائل [٤].

ويقول الإمام ابن بطة – رحمه الله –: (إن الفتوى عند أهل العلم، تعليم الحق والدلالة عليه، قال الله -عز وجل-: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾[٥]، يقول: يستعلمونك قال الله: يعلمكم الحق، ويدلكم عليه. وقول الله -عز وجل-: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾[٦]، فالفتوى

---

(١) صلاح العالم بإفتاء العالم، حامد بن علي العمادي، تحقيق: علي حسن علي عبدالحميد، ص٤، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، طبعة دار عمار، الأردن.

(٢) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص٤، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مادة (فتاه)، ٢/ ٦٧٤، وأصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص١٥١.

(٤) التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، ١/ ٥٥٠، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، طبع دار الفكر، بيروت.

(٥) النساء: من الآية ١٧٦.

(٦) يوسف: من الآية ٤٦.

هي تعليم الحق، والدلالة عليه) [١].

إذًا فالفتوى: هي بيان الحق والدلالة عليه في قضية من القضايا جوابًا عن سؤال سائل معين، أو مبهم، أو فرد، أو جماعة [٢].

٢- وبعد تعريف الإفتاء، ننتقل إلى تعريف الدعوة؛ وذلك للوصول إلى العلاقة والرابط الذي بينهما، فنقول:

الدعوة لغة: من دعا بالشيء، دعوًا ودعوة، ودعاءً، ودعوى: طلب إحضاره. ودعوت الله: أدعوه، دعاءً، ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير. ودعوت زيدًا: ناديته، وطلبت إقباله. ودعوت الولد زيدًا، أو بزيدٍ، إذا سميته بهذا الاسم. وادعيت الشيء: تمنيته. وتداعى الناس على فلان: تألبوا عليه. وتداعى البنيان: تصدع من جوانبه، وآذان بالسقوط. وتداعوا بالألقاب، دعا بعضهم بعضًا بذلك [٣].

---

(١) إبطال الحيل، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق زهير الشاويش، ١/ ٣١، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، طبع المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) انظر: الفتوى بين الانضباط والتسيب، يوسف القرضاوي، ص١١، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ط دار الصحوة للنشر، القاهرة.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (دعا)، ٣/ ١٣٨٥-١٣٨٨، والمعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مادة (دعا)، ١/ ٢٨٦، والمصباح المنير، للفيومي، مادة (دعا)، ١/ ١٩٦.

والدعوة في الاصطلاح لها عدة تعريفات، منها:

أولًا: قيل هي: (مجموعة القواعد والأصول، التي يتواصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه وتطبيقه) (١).

ثانيًا: وقيل الدعوة هي: (البيان والتبليغ لهذا الدين، أصولًا، وأركانًا، وتكاليف، والحث عليه، والترغيب فيه) (٢).

ثالثًا: وقيل الدعوة: إنها (العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، مما حوى، عقيدةً، وشريعة، وأخلاقًا)(٣).

ومن هنا تظهر العلاقة بين تعريف الإفتاء وتعريف الدعوة:

في أن الإفتاء الذي هو إخبار بحكم الله تعالى وتبليغ عن الله -عز وجل- يشترك مع تعريف الدعوة في أنه نوع من أنواع الإخبار والتبليغ لدين الله، والنشر لأحكامه، وفي أنه أحد فنون الدعوة وأساليبها

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البيانوني، ص١٤، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط دار الرسالة، بيروت.

(٢) فصول في الدعوة الإسلامية، حسن عيسى عبدالظاهر، ص٢٦، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ط دار الثقافة، قطر، الدوحة.

(٣) الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، ص١٠، طبعة ١٣٩٩هـ، ط دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، بيروت.

المتعددة، كالحوار، أو الخطابة، أو الندوة، أو المحاضرة، أو الدرس، وغيرها من الأساليب الدعوية؛ ولذا قيل عن الإفتاء: إنه (قيام المفتي بجواب المستفتي، وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى، وإخبار عما شرَّعه لعباده من أحكام) [1]، أي: أنه دعوة وتبليغ للدين، وسعي من المفتي – الداعية إلى الله تعالى – من خلال هذا الأسلوب المهم في نشر الإسلام، وتعليم الجاهلين أمور دينهم، وحثهم على العمل به.

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص١٦٠.

المبحث الثاني

المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم

إن المتأمل في نصوص القرآن الكريم يجد فيها إبرازًا لمكانة الفتوى في الدعوة إلى الله كأسلوب له تأثيره وأهميته في نشر العقيدة والفقه والأخلاق، وأنه باب طرقه الأنبياء والعلماء، كان له التأثير الكبير، وذلك كله يظهر من خلال الآتي:

أولًا: أن الله -عز وجل- هو الذي يفتي عباده فيما يحتاجون إليه:

إن أعظم ما يبين مكانة الإفتاء كأسلوب دعوي أن الله -عز وجل- تولى بنفسه – في بعض نصوص كتابه الكريم – إفتاء الناس في بعض المسائل والقضايا التي وقعت لهم، ومن ذلك:

١- قوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن الأهلة؟: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾[1].

٢- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن الأحق بالصدقة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾[2].

٣- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن القتال في الأشهر الحرم: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[3].

٤- وقوله سبحانه، لمن سأل عن حكم الخمر والميسر، قبل تحريمهما القطعي: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[4].

٥- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن اليتامى: ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة البقرة: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة: ٢١٥.

(٣) سورة البقرة: ٢١٧.

(٤) سورة البقرة: ٢١٩.

وَٱلْأَخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[1].

٦- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن إتيان المرأة وهي حائض:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[2].

٧- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن الميت الذي ليس له ولد ولا والد ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ ﴾[3].

٨- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن الحلال من الأطعمة:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) سورة النساء: ١٧٦.

(٤) سورة المائدة: ٤.

٩- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن موعد قيام القيامة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾[2].

١٠- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن غنائم الحرب: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[3].

١١- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن الوعيد حق، أو هل الشرع والدين حق: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4].

١٢- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن الرجل الصالح ذي القرنين: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٢) سورة النازعات: ٤٢.

(٣) سورة الأنفال: ١.

(٤) سورة يونس: ٥٣.

(٥) سورة الكهف: ٨٣.

١٣- وقوله سبحانه وتعالى، لمن سأل عن حقيقة الروح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[١].

١٤- وقوله سبحانه وتعالى، عن حال الجبال يوم القيامة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[٢].

فهذه آيات بينات يفتي فيها ملك الملوك العليم الخبير،

في مسائل متعددة، وقضايا مختلفة، تأكيدًا على هذا الأسلوب العظيم، وتعظيمًا لأهميته، وأنه شديد التأثير والتغيير في نفوس السائلين.

يقول العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى – عند تفسير آيات سورة النساء السابقة: (الاستفتاء طلب السائل من المسؤول ببيان الحكم الشرعي في ذلك المسؤول عنه، فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول ﷺ في حكم النساء المتعلق بهم، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه، فقال: (قل الله يفتيكم فيهن) فاعلموا على ما أفتاكم به...)[٣].

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) سورة طه: ١٠٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ١/ ٢٠٦.

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – في بيان هذا الشرف والمكانة العظيمة لأسلوب الإفتاء الذي تولاه الله -عز وجل- بنفسه: (فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدَّ له عدّته، وأن يتأهّب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق، والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب، فقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾، وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفًا وجلالة؛ إذ يقول في كتابه: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ ﴾، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقِن أنه مسؤول غدًا وموقوف بين يدي الله) [1].

ثانيًا: استخدام الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لأسلوب الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى:

فمما يبين هذه المكانة الدعوية للإفتاء أن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – تولوا بأنفسهم الإفتاء للناس والإجابة على أسئلتهم، مهما تعددت وتنوعت، فمثلًا ذكر الله في كتابه العزيز أن نبي الله يوسف – عليه السلام – عندما جاءه من يستفتيه وهو في السجن أنه استغل

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ١١.

الفرصة للدعوة إلى الله -عز وجل-؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى، في ذكر قصته: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

ثالثًا: الوعيد الشديد لمن كتم العلم ولم يجب على السائل:

إن من النصوص التي عظمت الإجابة على أسئلة السائلين، وأنه لا مناص من الإجابة عند السؤال لمن عنده علم بالجواب، قول الله -

(١) سورة يوسف: الآيات ٣٦-٤١.

عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[1].

وقوله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾[3].

يقول العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى –: هذه الآيات وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ، وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق، المظهرات له، والهدى، وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم بأن يبينوا للناس ما من الله به عليهم من علم الكتاب، ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك، وجمع بين

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٥٩-١٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١٧٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٧.

المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك يلعنهم الله، أي يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته [1].

فأسلوب هذا حكمه: الإجابة فيه على الأسئلة من العلماء حتمًا، ولا مفرَّ منها، بل: وفي حال الامتناع مع العلم، وزوال الموانع، يترتب على ذلك العقاب والوعيد الشديد من الله تعالى، لا شك أنه يعطي الصورة الكبيرة في بيان ما له من مكانة دعوية، وأهمية عظيمة في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ وهذا لشدة حاجة الناس إليه، وعظم تأثيره على دينهم وحياتهم.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ١/ ٧٧.

المبحث الثالث

المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص السنة النبوية

إن الناظر في سنة رسول الله ﷺ يجد فيها نصوصًا كثيرة، ومواقف متعددة، يظهر منها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة، وأهمية واضحة كأسلوب من أساليب الدعوة والإرشاد، وتصحيح أخطاء الناس، والأخذ بأيديهم إلى جادة الحق والصواب؛ فلذا كان هذا المبحث الذي يظهر هذه المكانة وفق الجوانب الآتية:

أولًا: الفتوى قد تكون سببًا في قتل المفتي (الداعية):

إن أهمية الفتوى في الدعوة إلى الله، وقوة تأثيرها تظهر من خلال أنها قد تكون سببًا في قتل المفتي، فما حدث للراهب – غير العالم – الذي أفتى لقاتل التسعة والتسعين نفسًا أن ليس له توبة، فأكمل به المائة، يظهر من مدى أثر الفتوى الكبير، وعظم أهميتها، وخطورتها على المفتي والمستفتي، وعندما أفتى العالم بأن له توبة وأرشده إليها، تاب وتاب الله عليه، يقول رسول الله ﷺ: «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا. فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب. فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له توبة؟ فقال: لا. فقتله.

فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم. فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا. فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم. فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، ٢/ ٢١١٨، برقم ٢٧٦٦.

ثانيًا: الفتوى قد تكون سببًا في قتل المستفتي:

فكما أن أهمية الفتوى كأسلوب دعوي، ومكانة كبيرة في حياة الناس، ظهرت في المثال السابق بأنها قد تكون سببًا في قتل المفتي، فهي كذلك قد تكون سببًا في قتل المستفتي كذلك، وهذا يشهد له حديث جابر -رضي الله عنه-، عندما قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلًا منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ، أخبر بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر - أو يعصب - على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده» (١).

فكم تسببت فتوى في غير مكانها: من قتل وهدر للأرواح على مر التاريخ، فحالات كثيرة قد يستعجل فيها طالب العلم فيفتي بغير علم، فحدث ولا حرج، فهم كثير جدًا.

ومن الصور والحالات التي تكون فيها الفتوى سببًا في قتل

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، ١/ ٩٣، برقم ٣٣٦. وقال عنه الألباني: صحيح. (انظر: صحيح سنن أبي داود، ١/ ٨٦).

المستفتي، إفتاء بعض العوام بعضهم لبعض عند اشتداد الزحام حول الجمرات بضرورة الرمي ودخول الزحام، وإلزام المرأة والصغير والضعيف والمريض بذلك، فيتسببون في شر كبير، وظلم عظيم.

ثالثًا: نصوص عامة تبين أهمية الفتوى في التأثير في الناس:

هذا وقد جاءت نصوص كثيرة تبين أهمية الفتوى وخطورتها في التأثير على الناس، يقول ﷺ: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار»[1].

فهذا الوعيد والتحذير الشديد من الجرأة على الفتيا لخطورتها وأهميتها في التأثير على الناس، فالرسول ﷺ يحذر منها حتى لا تكون إلا بعلم، وعلى نور وبصيرة، لا على جهل وضلال، فيعم الجهل والضلال بين الناس.

ويوضح ذلك قوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهلًا، فسألوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» [2].

---

(١) سنن الدارمي، باب الفتيا وما جاء فيها من شدة، ١/ ٥٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ١/ ٦٠، برقم:....

وبالمقابل لهذا الوعيد والنهي عن الفتوى بغير علم وبتسرع وعجلة، يأتي النهي عن كتم العلم وعدم الإجابة على السائل، يقول ﷺ: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[1].

(١) سنن ابن ماجه، باب من سئل عن علم فكتمه، ١/ ٩٨، برقم ٢٦٦. (وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/ ٤٩).

المبحث الرابع

المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في أقوال العلماء

توجد أقوال كثيرة للصحابة الكرام - الله عنهم-، والأئمة الأعلام، مبثوثة في كتب التفسير، والسنة وشروحها، وغيرهما من الفنون، يتبين من خلالها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى، بنشر الدين، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وما يحتاجون فيهما من معلومات وتوجيهات.

ولكثرة هذه الأقوال وتنوعها، سأختار منها عينة تصور حقيقة هذه المكانة الدعوية لأسلوب الإفتاء، وألخصها تحت العناوين الآتية:

١- حثُّ من كان عالمًا على التصدر لإفتاء، ونهي غيرهم عنه:

ورد عن الصحابة الكرام والأئمة الأعلام: في أن العلماء هم الذين ينبغي لهم التصدر للإفتاء، وأن لا يفتي إلا العالم؛ وذلك لخطورة الفتوى ومكانتها الكبيرة في التأثير على الآخرين سلبًا أو إيجابًا.

فعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر -رضي الله عنه-: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق

بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين [١].

ومن هذا الباب: قول الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى –: (لا يجوز الإفتاء: إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة – وقال في رواية حنبل – ينبغي لمن أفتى أن يكون عالمًا بقول من تقدم، وإلا فلا يفتي)[٢].

وذُكر عن الإمام مالك – رحمه الله تعالى – أنه قال: (أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة، فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ وارتاع لبكائه، فقال: لا، ولكن استُفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم. قال ربيعة: ولبعض من يفتى ههنا، أحق بالحبس من السراق) [٣].

وهذا التشديد من العلماء – رحمهم الله تعالى – هو من باب بيان مكانة الإفتاء وعظم شأنه، يقول القاضي أبو يعلى – رحمه الله تعالى –: (وهذا محمول على الاحتياط والتغليظ في الفتوى) [٤].

---

(١) الدارمي، المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي، برقم ٢١٦.

(٢) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ١٥٧.

(٣) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ٣/ ٧٩٤.

(٤) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ١٥٧.

٢- اشتراط مجموعة من الصفات المهمة لمن يتصدى للإفتاء

يذكر العلماء – رحمهم الله تعالى – مجموعة من الصفات والخصال العظيمة التي ينبغي توافرها لمن يتصدى للفتوى؛ وذلك لأهميتها في تحقيق التأثير على المستفتين، وحثهم على الاستجابة لجواب المفتين، ومن ذلك اشتراطهم لخمس خصال [١]، وهي:

إحداها: أن تكون له نية، أي أن يخلص في ذلك لله تعالى ولا يقصد رياسة ولا نحوها، فإن لم يكن له نية، لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور. وذلك استدلالًا بقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى» [٢].

الثانية: أن يكون له حلم ووقار وسكينة، وإلا لم يتمكن من فعل ما تصدى له من بيان الأحكام الشرعية، بسبب ما قد يتعرض هل من استفزاز من المستفتين، وكذلك لتأثير هذه الصفات فيهم.

الثالثة: أن يكون قويًا على ما هو فيه، وعلى معرفته، وإلا فقد عرض نفسه لعظيم.

---

(١) انظر: كشاف القناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، ٦/ ٢٩٩، طبعة ١٤٠٢هـ، دار الفكر، بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، برقم ١، وصحيح مسلن، كتاب الإمارة برقم ١٩٠٧.

الرابعة: الكفاية وعدم النظر إلى ما في أيدي المستفتين، وإلا أبغضه الناس، فإنه إذا لم تكن له كفاية، احتاج إلى الناس، وإلى الأخذ مما في أيديهم، فيتضررون منه، ولا يستجيبون له.

الخامسة: معرفة الناس، أي ينبغي للمفتي أن يكون بصيرًا بمكر الناس وخداعهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم على الإطلاق، بل يكون حذرًا فطنًا مما يصورونه في سؤالاتهم؛ لئلا يوقعون في المكروه، ويؤيده قول مطرق بن عبدالله – رحمه الله تعالى –ويؤيده قول النبي ﷺ: «احترسوا من الناس بسوء الظن» (١).

٣- تهيب السلف الصالح –رحمهم الله – من الفتوى:

فالفتوى وإن كانت تبليغًا لشرع الله، وقيامًا بواجب ديني، إلا أن صاحبها معرض للخطأ، وهنا كان السلف الصالح يتهيبون من الفتوى، مع صلاحيتهم لها، ويود كل واحد منهم أن يقوم غيره بها.

فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى – رحمه الله تعالى – قال: (أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، يسأل أحدهم عن مسألة،

(١) سنن البيهقي الكبرى، برقم ٢٠٢٠٣، ١٠/ ١٢٠. وقال عنه الهيثمي: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وبقية رجاله ثقات) مجمع الزوائد، ٨/ ٨٩.

فيردها هذا وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول) [1].

٤- طلب العلماء من الولاة الاحتساب على من هو غير مؤهل للفتيا:

الاحتساب له مجالات كثيرة، ومتنوعة بتنوع الحياة وأشكالها، ومن ذلك حرص العلماء على التأكيد على الولاة والأمراء وأصحاب السلطان أن يكون من مجالات احتسابهم منع من يتطفل على العلم والعلماء من الإفتاء، يقول الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى –: (وينبغي للإمام أن يتصفح أحوال المفتيين، فمن صلح للفتيا: أقره، ومن لا يصلح منعه، ونهاه أن يعود، وتواعده بالعقوبة إن عاد) [2].

قال أبو الفرج ابن الجوزي – رحمه الله تعالى –عن المتطفلين على الفتوى: (ويلزم ولي الأمر منعهم كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب، وهو يطبب الناس، بل هو أسوأ حالًا من هؤلاء كلهم، وإذا تعين على ولي الأمر منع من لم

(١) أدب الفتيا، جلال الدين السيوطي، ص٤٢، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ط. المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ٢٥٦.

يحسن التطبب من مداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة!! ولم يتفقه في الدين) [١].

ويذكر ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – أنه كان شديدًا على المفتين الجهلة، وأنه يحتسب عليهم، فقال: و(كان شيخنا -رضي الله عنه-، شديد الإنكار على هؤلاء فسمعته يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجعلت محتسبًا على الفتوى؟! فقلت له: يكون على الخبازين والطباخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب)[٢].

وأما الطريقة التي يعرف بها المحتسب – الذي قد يكون من العوام – المؤهل للفتيا وغير المؤهل فقد أشار العلماء إلى ذلك بقولهم: (وطريق الإمام إلى معرفة من يصلح للفتوى: أن يسأل علماء وقته، ويعتمد أخبار الموثقين بهم) [٣].

فهذا الإمام مالك – رحمه الله تعالى – مع جلالته وعلو مكانته

---

(١) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ٢١٧.

(٢) المرجع السابق، ٤/ ٢١٧.

(٣) المرجع السابق، ٤/ ٢٥٦.

يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك – وفي رواية – ما أفتيت حتى سألت من هو أعلم مني، هل تراني موضعًا لذلك؟ وقال الإمام مالك ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلًا لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه [1].

٥- تأكيد العلماء على أهمية قول المفتي: لا أدري، إذا لم يعرف الجواب:

إن مما ينبغي العلم به: أن كل عالم لا يستطيع الإفتاء والإجابة على كل سؤال يرد عليه؛ فلذا جاء التأكيد من العلم على أن قول: لا أدري، نصف العلم، وأن هذه الكلمة مما ينبغي لكل عالم تعلمها، واللجوء إليها، قال الإمام أبو داود – رحمه الله تعالى –: ما أحصى ما سمعت الإمام أحمد سئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم؟ فيقول: لا أدري. قال: وسمعته يقول: ما رأيت مثل ابن عيينة في الفتوى! أحسن فتيا منه، كان أهون عليه أن يقول: لا أدري [2].

ومن القصص المشهورة في هذا الباب، قصة الإمام مالك – رحمه

---

(١) المرجع السابق، ٤/ ٢٥٦.

(٢) انظر: المدخل، عبدالقادر بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبدالله التركي، ١/ ١٢٠، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت.

الله تعالى – مع الرجل الذي جاء من المغرب، ليسأله عن مسألة؟ فقال له لا أدري. فقال: يا أبا عبدالله، تقول: لا أدري، قال: نعم، فأبلغ من ورائك أني لا أدري [1].

وكان السلف من الصحابة -رضي الله عنهم-، والتابعون لهم بإحسان، يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياه غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة، أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى [2].

(١) انظر: إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ٢٥٦.

(٢) المرجع السابق، ٤/ ٢٥٦.

المبحث الخامس

مكانة أسلوب الإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة

إن الناظر في حال الناس في العصر الحاضر مع الفتوى والإفتاء، لا بد وأن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة المهمة، منها: لما ينال بعض برامج الفتوى، متابعة الجمهور الكبير من الناس، ويشتهر بينهم؟

والآخر من البرامج: يقل المتابع له، بل ينفرون منه، ومما يقدم فيه؟

هل هذا بسبب نوعية الوسيلة التي يقدم فيها البرنامج – قناة فضائية، إذاعة، إنترنت...؟.

أم أنه بسبب شخصية المفتي وشهرته، ومراعاته لآداب الإفتاء وضوابطه؟

أم أنه بسبب طريقة الإفتاء وأساليبه؟

لا شك أن هذا يعود إلى أسباب كثيرة: منها ما يتعلق بالمفتي، ومنها ما يتعلق بالأسلوب، ومنها ما يتعلق بالوسيلة، إلى غير ذلك من

الأمور التي يترتب عليها النجاح والإقبال والاستجابة من الناس، بل والعمل بها، أو عدمه، والنفور منها.

إن الناظر في واقع الناس اليوم يخرج بنتيجة مفادها أن حال الفتوى وواقعها يشهد بقيمتها العظيمة وأثرها الكبير في حياة الناس، فمثلًا: برامج الفتوى (الإذاعية، أو التلفزيونية)، أصبحت محل اهتمام القائمين على هذه الأجهزة الإعلامية؛ وذلك لما يرون من الإقبال الكبير عليها من جمهور الناس، خاصة وأن الكثير منهم يبحث عن أكبر قاعدة جماهيرية لجهازه الإعلامي لتحقيق الربح الكبير؛ لأن شركات ومؤسسات الدعاية والإعلان تبحث عن الجهاز الإعلامي – في الغالب – الأكثر مشاهدين ومستمعين، وكذلك قيمة الإعلان ترتفع وتنخفض بحسب عدد الجمهور والمتابعين، وهذا هو السبب الرئيس في حرص كثير من مواقع الإنترنت على تسجيل عدد الزائرين يوميًا، فكلما ارتفع العدد زاد عدد الإعلانات، وارتفع أجرها.

وهذا هو ما دفع بعض المؤسسات الإعلامية أن تجعل برامج الإفتاء في أفضل وأهم أوقات اليوم، (مثلًا: من بعد العصر إلى المغرب في رمضان)، وبعد الظهر في يوم الجمعة من الأسبوع، وبعد العشاء في سائر الأيام.

وكذلك يجد المتأمل أن الصحف اليومية أصبحت لا تخلو من

ركن، أو صفحة في كل عدد يصدر لها، خصصته للإجابة على أسئلة المستفتين.

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء من خلال النظر في حياة الناس وواقعهم، ما نشاهده من تسابق الناس على العلماء وطلبة العلم بطرح الأسئلة عليهم واستفتائهم.

فمثلًا إذا كانت وليمة وحظرها عالم ما انصرف الناس عن حديثهم إلى طرح الأسئلة، والإنصات من الجميع لما يطرح من جواب.

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النظر إلى واقع الناس ما نشاهده من إقبال جميع الناس عليه بجميع فئاتهم وأصنافهم وأعمارهم وأحوالهم، فالصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير..، كلهم بغير استثناء يقبل على السؤال والإجابة علي؛، لأن هذا الأسلوب يثير فيهم التشويق، وحب المعرفة للمجهول عند طرحه عليهم.

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء: هذا الحرص من أصحاب السلطان على تأييد أفعالهم وأقوالهم بالفتاوى:

ومما يبين أهمية الفتوى في التأثير والتوجيه، ما نراه من القادة والحكام – مع جبروت وتسلط بعضهم – منذ القدم على تأييد أقوالهم وأفعالهم وما يريدونه من الناس، بالفتاوى من العلماء، ليأخذ صبغة

وشرعية أقوى، وليكون العمل والالتزام به أكبر وأشد.

وكذلك أيضًا مما يزيد أسلوب الفتوى خصيصة وأهمية أن السائل هو الذي يأتي ويسأل ليعرف حكمًا، أو علمًا ويرفع جهلًا، إذًا روح الاستعداد الاستجابة موجودة، لا تحتاج إلى الجهد يسير وفق ضوابط وآداب معينة، ذكرها العلماء وبينوها في كتبهم [1].

(١) من أفضل ما اطلع عليه الباحث في هذا الباب، ما كتبه العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه النفيس، إعلام الموقعين عن رب العالمين، وخاصة الجزء الرابع منه.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشكره ﷻ، على توفيقه وتيسيره لي في كتابة هذا البحث، وإتمامه على الوجه الذي لا أدعي فيه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدي وفكري، وأفرغت فيه الوسع، مع اعترافي بالعجز والتقصير، ويقيني أن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

ثم إني أناشد كل ناظر عن علم في بحثي هذا أن يغض الطرف عما نبَّ به القلم، أو زلَّ به العقل، وأن يمحو سيئات هذا البحث بحسناته، وأن ينبهني مشكورًا إلى ما وقعت فيه من الخطأ، وأن يدعو لي ولوالدي وجميع المسلمين بالعفو والغفران.

هذا وقد تجلى في هذا البحث عدة أمور، منها:

١ - أن الإفتاء الذي هو إخبار بحكم الله تعالى، وتبليغ عن الله -عز وجل- يشترك مع تعريف الدعوة في أنه نوع من أنواع الإخبار والتبليغ لدين الله، والنشر لأحكامه، وفي أنه أحد فنون الدعوة وأساليبها المتعددة، كالحوار، أو الخطابة، أو الندوة، أو المحاضرة، أو الدرس، وغيرها من الأساليب الدعوية.

٢- أن المتأمل في نصوص القرآن الكريم، يجد فيها إبرازًا لمكانة الفتوى في الدعوة إلى الله كأسلوب له تأثيره وأهميته، وذلك من خلال مجموعة من النقاط:

- أن الله سبحانه وتعالى، هو الذي يفتي عباده فيما يحتاجون إليه.
- استخدام الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لأسلوب الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى.
- الوعيد الشديد لمن كتم العلم ولم يجب على السائل.

٣- أن الناظر في سنة رسول الله ﷺ يجد فيها نصوصًا كثيرة، ومواقف متعددة، يظهر منها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة، وأهمية واضحة، كأسلوب من أساليب الدعوة والإرشاد، وتصحيح أخطاء الناس، والأخذ بأيديهم إلى جادة الحق والصواب.

٤- كثرة أقوال الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، والأئمة الأعلام المبثوثة في كتب التفسير، والسنة وشروحها، وغيرهما من الفنون التي يتبين من خلالها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى، بنشر الدين، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وما يحتاجون فيهما من معلومات وتوجيهات.

٥- أن الناظر في واقع الناس اليوم، يخرج بنتيجة مفادها أن حال الفتوى وواقعها، يشهد بقيمتها العظيمة وأثرها الكبير في حياة الناس، وذلك من خلال اهتمام وسائل الإعلام ببرامج الإفتاء، وحرص الأمراء والقادة واهتمامهم بها، وكذلك مما يبين أهمية هذا الأسلوب ما نشاهده من تسابق الناس على العلماء وطلبة العلم بطرح الأسئلة عليهم واستفتائهم.

هذا والله أعلم وأحكم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الفهرس

المقدمة..... ٥
المبحث الأول: تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما..... ١١
المبحث الثاني: المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم..... ١٦
المبحث الثالث: المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص السنة النبوية..... ٢٥
المبحث الرابع: المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في أقوال العلماء ٣٠
المبحث الخامس: مكانة أسلوب الإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة..... ٣٨
الخاتمة..... ٤٣
الفهرس..... ٤٧

شركة مطبعة النرجس المحدودة
Narjis Printing Press Co. Ltd.
تلفون: ٤١٥٧٤١٢ - جوال: ٠٥٠٥٧٧٨٤٦١
E-mail: narjiscpp@yahoo.com

دار الحضارة

وكيل التوزيع دار الحضارة للنشر والتوزيع

المنطقة الغربية: جوال: ٠٠٩٦٦ ٥٠٧٧٧٠٤٢١
البريد الاكتروني daralhadarah@hotmail.com
موقعنا الإلكتروني www.daralhadarah.com.sa
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

9 786030 218820 SR: 7